

دور النخب العربية المتأصلة في تفعيل المدركات المجتمعية

بين خبرة الماضي وأزمة الحاضر

مبدأ النصيحة والتغيير بين السلطة والجماعة

*

محمد الروحي

raouhi-islam@hotmail.fr

شكل الحراك العربي الذي اندلع أواخر 2010 اختبارا حقيقيا للنخب العربية والإسلامية التي ظلت متصدرة للمشهد العام قبل ذلك ردها من الزمان. فقد كشف تسارع الأحداث وتقلبها خلال السنوات الأخيرة عمق الأزمة التي تعيشها النخب "المثقفة"؛ فبالإضافة إلى أن قيام الانتفاضات الشعبية قد تم خارج توقعات هذه النخب وفي غياب تام لها، كان تفاعلها مع الواقع الجديد محبطا للأمال بل ومعيقا لمسيرة التحرر التي تنشدها الجماهير المنتفضة. وهو تفاعل يزيد مرارة أن اهتمام النخب العربية "مستحدثة" و"متأصلة" قد اتجه إلى الصراع حول السلطة والتنافس على مراكز النفوذ السياسية في تغييب واضح لإرادة الجماعة وتطلعاتها.

وليس غريبا أن تربط النخب المستحدثة بين التغيير والسلطة؛ فإن هذا التوجه ينسجم تماما مع مرجعيتها الفكرية. إلا أن المستغرب هو انخراط النخب المتأصلة في هذا التوجه متناسية ما أفرزته الخبرة العربية الإسلامية من مدركات جماعية معبرة عن مرجعية الأمة ومفاهيمها القيمة. وقد أدى هذا التوجه بالنخب العربية عامة والمتأصلة على وجه الخصوص إلى الفصل بين حاضر الأمة في سعيها نحو ترقية واقعها وبين مدركاتها الجماعية كمحصلة للخبرة التاريخية الممتدة عبر الزمان. وبدا واضحا عجز هذه النخب، مع أول فرصة لها في الحكم، عن التعبير عن تطلعات الجماهير وتحقيق آمالها.

لأجل هذا ارتأيت أن يكون موضوع مقالي حول دور النخب العربية المتأصلة في تفعيل مدركات المجتمع بين خبرة الماضي وأزمة الحاضر. محاولا عقد مقارنة بين القيادات الفكرية في التراث الإسلامي متمثلة في الفقهاء والقضاة من جهة، والقيادات المعاصرة من جهة أخرى، مركزا على الإسلامية منها باعتبارها نخباً متأصلة مرتكزة على الهوية الإسلامية. وقد انطلقت في هذه الدراسة من الفرضية الآتية: أن نجاح النخب أو فشلها مرتكن بمدى قدرتها على تمثل مدركات مجتمعاتها، ومدى انسجام حركتها مع المرجعية والمفاهيم القيمة لأمتها.

ولمعالجة هذا الموضوع، بدا لي تقسيمه بعد التمهيد إلى مبحثين:

التمهيد: حاولت فيه التأكيد على سمات الرسالة الحمديّة باعتبارها قائمة على مبدأ الإقناع بمخاطبة العقول بالحجة والبرهان، والقلوب بالوعظ والتذكير.

وقد استعنت فيه بنصوص من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وكذا كتاب محمد سعيد رمضان البوطي: "الإسلام ملاذ كل المجتمعات لماذا وكيف؟" (دمشق، 1404هـ-1984م).

المبحث الأول: دور فقهاء وقضاة العصر المملوكي في تفعيل مدركات الجماعة بالنصيحة؛ وفيه سأعمل على استعراض بعض المواقف التاريخية لعلمين من أعلام المسلمين في العهد المملوكي، وهما القاضي عز الدين بن عبد السلام والفيقيه تقي الدين ابن تيمية، وهي مواقف أثبتا من خلالها ارتباطهما بمدركات الجماعة وسعيهما نحو ترقية الواقع بتفعيل مفاهيم "الإصلاح" و"النصيحة"... في مواكبة واضحة لمشاكل الجماعة وقدرة على التعبير عن همومها.

* طالب باحث. كلية الآداب والعلوم الانسانية. جامعة محمد الخامس الرباط.

وسأستعين في هذا المبحث بمراجع منها: كتاب عبد العزيز البديري "الإسلام بين العلماء والحكام" (المدينة المنورة، ت ؟)، إضافة إلى كتب السير والأعلام التي اهتمت بسير الفقهاء ككتاب السبكي "طبقات الشافعية الكبرى" (القاهرة، 1383هـ-1964م)، مع الاستعانة ببعض الكتب في الباب لمؤلفين معاصرين ككتاب عبد الرحمن الشرقاوي "أئمة الفقه التسعة" (القاهرة، 1411هـ-1991م)، وكتاب علي الصلاحي: سلطان العلماء وبائع الأمراء (بيروت، ت ؟)، وكتاب القحطاني "مواقف العلماء عبر العصور في الدعوة إلى الله" (الرياض، 1425هـ).

المبحث الثاني: عجز النخب المعاصرة عن تمثل المضامين الواقعية لمشاكل الأمة؛ وفيه سأعمل على تتبع مظاهر هذا العجز انطلاقاً من التجربة التي عاشتها بعض القيادات الإسلامية في سدة الحكم بعد اندلاع الحراك العربي، محاولاً تلمس أسباب هذا العجز وعوامله، مركزاً على الأسباب الداخلية، وأقصد بها ما يرتبط بتوجهات هذه النخب وخياراتها، وأبرزها مراهناتها على الوصول إلى السلطة، في تغييب واضح لدور الجماعة. دون التعرّيج على غيرها من الأسباب التي يمكن وصفها بالعوامل الخارجية المرتبطة بالبيئة الاجتماعية والسياسية. وسأستعين في هذا المبحث بمجموعة من المراجع، منها: كتاب عبد الرحمن بن زيد الزيندي "الثقاف العربي بين العصرية والإسلامية" (الرياض، 1430-2009)، وحوار مع الدكتور نصر عارف "الثورات العربية من منظور حضاري" ضمن "حوارات ما بعد الثورة" لمجموعة مشاركين (بيروت، 2012)، وكتاب منير شفيق "في نظريات التغيير" (بيروت، 1426هـ-2005م).

تمهيد: حرصت رسالة الإسلام منذ بزوغها على التأكيد على سمو غايتها ونبل هدفها المتمثل في رحمة البشرية وهدايتها إلى ما فيه صلاح دينها وقوام دنياها؛ قال تعالى مخاطباً نبيه حامل الرسالة والمكلف بتبليغها: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)¹، وقال سبحانه واصفاً كتابه المتضمن لمبادئ هذه الرسالة: (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)². ولتحقيق هذا الهدف، أمر المرسل عز وجل رسوله عليه الصلاة والسلام بسلوك سبيل الحوار ومخاطبة المدعوين استناداً لمبدأ الإقناع بالحجة والبرهان؛ قال تعالى: (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)³، وقال عز وجل: (قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا)⁴. كما وجهه إلى اعتماد أسلوب الرفق والحكمة في مجادلة المخالفين؛ قال سبحانه: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)⁵. ذلك أن تحقق مقاصد الشريعة في إصلاح أحوال الناس لا يكون إلا بتوفر الإيمان المبني على قناعة عقلية وخضوع قلبي، وهو الأمر الذي يستحيل حدوثه بطريق القهر والإكراه. وهذا ما أكدته نصوص متعددة من مثل قوله تعالى: (لا إكراه في الدين)⁶ وقوله: (لست عليهم بمسيطر)⁷ وقوله عز من قائل: (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)⁸.

وقد ترجم النبي صلى الله عليه وسلم هذه التوجيهات إلى سلوك عملي صبغ مسيرته الدعوية خلال ثلاث وعشرين سنة. وهي المسيرة التي تكللت بإقامة مجتمع نموذجي يعتنق أفراد هذه الرسالة بقناعة تامة ومحبة صادقة، وتشيع فيه أحكام الإسلام وآدابه.

فقد أمضى النبي صلى الله عليه وسلم فترة من مسيرته الدعوية في مكة وهو يخاطب العقول بالإرشاد والتذكير ويتجه إلى القلوب باستشارة العاطفة والفتوة الإنسانية، دون أن يصرفه عن ذلك عناد خصومه وعدوانهم⁹ أو تغريه عروضهم بتمكينه من السلطة والجاه. ولما قدم عليه

¹ سورة الأنبياء، الآية 107.

² سورة الإسراء، الآية 9.

³ سورة البقرة، الآية 111.

⁴ سورة الأنعام، الآية 148.

⁵ سورة النحل، الآية 125.

⁶ سورة البقرة، الآية 256.

⁷ سورة العاشية، الآية 22.

⁸ سورة يونس، الآية 99.

⁹ البوطي محمد سعيد رمضان، *الإسلام ملاذ كل المجتمعات لماذا وكيف؟* (دمشق، دار الفكر، 1404هـ-1984م، ط1)، ص 226.

عتبة بن ربيعة قائلاً: (يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا...)، أمهله عليه الصلاة والسلام حتى فرغ من عرضه، فقال له: (أو قد فرغت يا أبا الوليد؟). قال: (نعم)، قال: (فاستمع مني)، قال: (أفعل)، فقرأ صلى الله عليه وسلم: ((بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون))¹⁰، ثم مضى فيها يقرأ...¹¹ ليرجع عتبة إلى أصحابه موقناً بقوة حجة محمد عليه الصلاة والسلام ومنبهاً بنبأته وصدق عزمته. ولم يكن انتقاله إلى المدينة، وتأسيسه لنواة مجتمع متماسك قادر على مواجهة العدوان بقوة السلاح، ليحول بينه وبين مخاطبة القلوب والعقول كما كان معهوداً عنه في مكة. ويكفي دليلاً على ثبات النبي الكريم على هذا التوجه، على الرغم من عدوان أعداء الدعوة وخصومها، حادثان شهيرتان أوردتهما كتب السيرة؛ ذلك أنه حين بلغه أن أهل نجد بحاجة إلى من يدعوهم إلى الإسلام، أرسل إليهم سبعة من أصحابه. فتخطفتهم يد الغدر وقتلوا جميعاً. ولما بلغه مرة أخرى شدة احتياج أهل نجد إلى من يعرفهم بالإسلام، لم يتوان في إرسال سبعين من صحابته. ولم يمنعه من ذلك ما تعرض له الوفد الأول من العدوان. وقد كان مصير الوفد الثاني القتل أيضاً وهم في طريقهم إلى نشر الدعوة بأرض نجد.¹²

والمأمل في سيرة النبي عليه الصلاة والسلام، يدرك يقيناً أن منهجه في التغيير يعتمد أساساً على تغيير النفوس بتزكيتها والعقول بترشيدها، استرشاداً بقوله تعالى: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)¹³. ذلك أن إيجاد أفراد صالحين كفيل بتكوين مجتمع إسلامي وإقامة سلطة إسلامية راشدة¹⁴. أما ربط التغيير بالوصول إلى السلطة فلم يكن من هديه صلى الله عليه وسلم، فهو يعلم حقيقة سنن الله الكونية القاضية بأن السلطة ما هي إلا انعكاس لطبيعة المجتمع وتوجهات أفرادها؛ (كما تكونوا يول عليكم)¹⁵.

فلا عجب أن يقوم أبو بكر بعد وفاته عليه الصلاة والسلام ومبايعته بالخلافة ليخطب في الناس قائلاً: (إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أخطأت فقوموني)¹⁶. أو أن يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يوماً على منبره: (أيها الناس من رأى منكم في اعوجاجا فليقومه)، فيجيبه أحدهم: (لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بجد سيوفنا، فلا يزيد على أن يقول: (الحمد لله الذي جعل في أمة محمد من يقوم اعوجاج عمر بسيفه)¹⁷.

وعلى هذا الدرب صار فقهاء الإسلام من التابعين وأتباعهم عبر العصور؛ يحاسبون الحكام على انحرافاتهم ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر، قياماً بواجب الكفاية المفروض على مجموع الأمة، وهو واجب متعين في حق العلماء باعتبارهم قادة المجتمع ونخبته القائمة على حراسة الدين وتبليغ ما ورثه عن الأنبياء من العلم والفقه، وهي الأمة المخاطبة أصالة بقوله تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)¹⁸.

¹⁰ سورة فصلت، الآية 1-2.

¹¹ البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود (تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش)، *معالم التنزيل*. ج 7. (الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1417 هـ - 1997 م، ط 4)، ص 168.

¹² ابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد (تحقيق طه عبد الرؤوف سعد)، *السيرة النبوية* (بيروت، دار الجيل، 1411 هـ، ط 1)، ج 4، ص 137.

¹³ سورة الرعد، الآية 11.

¹⁴ محمد سعيد رمضان البوطي، *الإسلام ملاذ كل المجتمعات لماذا وكيف* (دمشق، دار الفكر، 1404 هـ-1984 م، ط 1)، ص 232.

¹⁵ لم أطلع على صحة هذا الأثر، لكنه صحيح المعنى.

¹⁶ ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد (تحقيق طه عبد الرؤوف سعد): *السيرة النبوية* (بيروت، دار الجيل، 1411 هـ، ط 1)، ج 6، ص 82.

¹⁷ البدر عبد العزيز، *الإسلام بين العلماء والحكام* (المدينة المنورة: المكتبة العلمية، ب.ت، ب.ط)، ص 33.

¹⁸ سورة آل عمران، الآية 104.

1. **دور فقهاء وقضاة العصر المملوكي في تفعيل مدركات الجماعة بالنصيحة:** لقد حفلت كتب السير بقصص تحكي مواقف جليلة لفقهاء الإسلام وقضاة عبر العصور، تصدوا فيها لانحرافات الحكام واستبدادهم. وهي مواقف تجل عن الحصر وتضيق عن الإحاطة بما عثرت الدراسات. لذا حسن الاختصار في هذه المقالة على إيراد نموذجين عاشا في العصر المملوكي، واضطر كلاهما إلى مواجهة استبداد الحكام وانحرافاتهم. أولهما القاضي عز الدين بن عبد السلام، وثانيهما الفقيه تقي الدين ابن تيمية.

2. **القاضي عز الدين بن عبد السلام في مواجهة استبداد المماليك:** تعددت مواقف الإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي في مواجهة الانحرافات العقيدية والاجتماعية والسياسية منذ تقلده منصب الإفتاء وتوليه خطابة الجامع الأموي بدمشق (637هـ)¹⁹. ولعل أبرزها موقفه من تحالف الملك إسماعيل حاكم دمشق مع الصليبيين ضد ابن أخيه نجم الدين أيوب حاكم مصر، مقابل تنازله لهم عن بعض ديار المسلمين، والسماح لهم بدخول دمشق لشراء السلاح (638هـ). حيث أفق الشيخ بعدم جواز بيع السلاح للفرنجة ليقاتلوا المسلمين. ولم يكتف الإمام عز الدين بذلك، بل شنع على السلطان وقطع الدعاء له بالخطبة، ووصل الحد إلى الدعاء أمام الجماهير بما يوحي بخلعه واستبداله، فكان يقول: (اللهم أبرم لهذه الأمة أمرا رشدا، تعز فيه وليك وتذل فيه عدوك ويعمل فيه بطاعتك وينهى فيه عن معصيتك)²⁰.

ولم يكن يخفى على السلطان إسماعيل ما يتمتع به الفقيه عز الدين من مكانة بين الناس، شأنه في ذلك شأن فقهاء تلك العصور؛ فقد كان للفقهاء دور هام في المجتمع، فهم حلقة الوصل بين الحكام والعامّة، ومحل الثقة والاحترام من الجميع، عليهم يعتمد الحكام في كسب تأييد العامة وفي إثارة حماسهم للجهاد وفي ترغيبهم في الإنفاق في سبيل الله، ولهم ينقاد العامة، وتوجيهاتهم يعملون.

لذا سارع السلطان بعزل الإمام عن الخطابة وأمر باعتقاله²¹. ولما قال له رسول السلطان: (بينك وبين أن تعود لمنصبك وما كنت عليه وزيادة، أن تنكسر للسلطان وتقبل يده لا غير)، قال: (والله يا مسكين، ما أرضاه أن يقبل يدي فضلا أن أقبل يده. يا قوم، أنتم في واد وأنا في واد. الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكُم به)²². ولكسب ود الصليبيين، أمر السلطان بحبس الشيخ في خيمة إلى جانب خيمته بحيث تسمع قراءته للقرآن من خيمة السلطان. فقال يوما لملوك الفرنج: (تسمعون هذا الشيخ الذي يقرأ القرآن؟... هذا أكبر قسوس المسلمين، وقد حبسته لإنكاره علي تسليمي لكم حصون المسلمين، وعزلته عن الخطابة بدمشق وعن مناصبه، ثم أخرجته فجاء إلى القدس، وقد جددت حبسه واعتقاله لأجلكم). فقالت له ملوك الفرنج: (لو كان هذا قسيسنا لغسلنا رجله وشرينا مرقته)²³.

لكن الخنة سرعان ما انتهت بإطلاق سراحه وانتقاله إلى مصر (639هـ)، حيث استقبله حاكمها نجم الدين أيوب وأكرمه وولاه خطابة جامع عمرو بن العاص، ثم عينه قاضيا للقضاة²⁴.

وظل القاضي عز الدين على سيرته المعهودة؛ أمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، يتسم في قضاة بالعدل بين الناس، والصرامة في تطبيق الشرع، والتسوية بين القوي والضعيف²⁵. ولم يمنعه ما لقيه من الإكرام وما تقلده من المناصب من مواجهة المظالم التي أحدثها الأمراء ووزراء السلطان.

فقد كان التجار والصناع وسائر الناس يعانون من صلف الأمراء المماليك وقسوتهم. لكن توليته للقضاء مكنته من الانتصار للمظلوم وفرض هيئة العدالة على الجميع.

¹⁹ انظر مقالتي بعنوان: خصائص قضاء الإمام العز بن عبد السلام والشأن العام "تفعيل مدركات الجماعة بالنصيحة"، ففيها تفصيل لهذه المواقف.

²⁰ الصلابي علي محمد محمد، **سلطان العلماء وبائع الأمراء** (بيروت، المكتبة العصرية، ب. ط)، ص 63.

²¹ الصلابي علي محمد محمد، م. س، ص 63. 64.

²² السبكي تاج الدين بن عبد الوهاب (تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج 8). (القاهرة، دار إحياء الكتب المصرية، 1383هـ-1964م، ط 1)، صص 243-244.

²³ السبكي، تاج الدين بن عبد الوهاب، م. س، ص 244.

²⁴ الوهبي عبد الله بن إبراهيم، **العز بن عبد السلام حياته وآثاره ومنهجه في التفسير** (الرياض: جامعة الإمام، 1402هـ-1982م، ط 2)، صص 61-62.

²⁵ الوهبي عبد الله بن إبراهيم، م. س، ص 62.

وقد وصل الحد بالقاضي عز الدين أنه أبطل جميع تصرفات المماليك ورفض إنفاذ عقودهم، مستدلاً على حكمه بكونهم أرقاء فاقدين للأهلية. وحين راجعه السلطان نجم الدين أيوب في هذا الأمر، اشترط عليه عقد مجلس لبيعهم ورد ثمنهم إلى بيت مال المسلمين، ليحصل عتقهم بطريق شرعي فتنفذ تصرفاتهم. ولما غضب السلطان ورفض الانصياع لقضائه، عزل العز نفسه عن القضاء وخرج من القاهرة عازماً على الرحيل. فتبعه جموع الناس من العلماء والصلحاء والتجار والنساء والصبيان محاولين منعه من الهجرة. ولم يكن تزامهم عليه إلا تعبيراً عن أنهم كانوا يرون فيه بارقة أمل تمكنهم من الانعتاق من سطوة المماليك وجبروتهم.

وقد أدرك بعض أعوان السلطان خطورة الأمر وما يمكن أن يترتب على خروج العز بن عبد السلام من مصر ورجوع الجموع الغاضبة ساخطة على ما حدث، فقال له ناصحاً: "متى راح ذهب ملكك".²⁶ فركب السلطان بنفسه لحقه واسترضاه ليرجع، فرجع بشرط أن ينادي على أمراء المماليك ويبيعهم. وكان له ما أراد، فباعهم منادياً عليهم واحداً تلو الآخر، وغالى في ثمنهم.²⁷ واشتراهم السلطان من ماله الخاص وأعتقهم لوجه الله تعالى، فأصبحوا أحراراً، ثم صحح الشيخ عقودهم. أما ما قبضه من المال، فقد صرفه على الفقراء وأصحاب الحاجات وطلبة العلم، وأقام به مكاتب لتعليم القرآن والخط وعلوم اللغة.²⁸

ولم يمحض على هذه الحادثة أكثر من سنة، حتى نعى إلى علم القاضي عز الدين بن عبد السلام أن أستاذ دار السلطان أي "كبير أمنائه" الوزير فخر الدين عثمان، وكان له نفوذ وسلطة في الدولة، بنى على ظهر أحد المساجد مكاناً للهو والغناء. فلما ثبت هذا عند الشيخ حكم، بوصفه قاضياً، بدم ذلك البناء، وأسقط عدالة الوزير، ثم عزل نفسه عن القضاء.²⁹

وكان لإسقاط عدالة الوزير، وهو ما يعني عدم قبول روايته وشهادته، صدى واسع في العالم الإسلامي؛ فقد جهز السلطان نجم الدين أيوب رسولا إلى الخليفة المستعصم ببغداد، فلما وصل الرسول ووقف بين يدي الخليفة وأدى إليه الرسالة، سأله: (هل سمعت هذه الرسالة من السلطان؟)، فقال: (لا، ولكن حملنيها عن السلطان فخر الدين ابن شيخ الشيوخ أستاذ داره). فقال الخليفة: (إن المذكور أسقطه ابن عبد السلام، فنحن لا نقبل روايته). فرجع الرسول إلى السلطان حتى شافهه بالرسالة، ثم عاد إلى بغداد وأداها.³⁰

لقد بدت مواقف الإمام عز الدين بن عبد السلام بمثابة تحديد لسلطة المماليك. لكن الواقع أن هذه المواقف لم تكن بدافع تحدي أو معارضة النظام القائم؛ بل كان دافعها الأساس هو بيان الحكم الشرعي، كونه فقيهاً من فقهاء الشرع. وكان يعلم يقيناً أن هذا البيان واجب في حق العلماء، وهو منهم، لقوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُيِّنَ مَا يَشْتَرُونَ)³¹. كما أن أحكامه القضائية التي أصدرها لم تكن سوى تجسيد لصفات القاضي الذي ينطق بالحق ويحكم بالعدل، لا تأخذه في الله لومة لائم؛ مصداقاً لقوله تعالى: (وَإِذَا حُكِمَ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ)³².

وقد أوضح العز بنفسه وظيفة القضاء والغرض من نصب القضاة، حيث قال في بعض مصنفاته: (الغرض من نصب القضاة إنصاف المظلومين من الظالمين، وتوفير الحقوق على المستحقين، والنظر لمن يتعذر نظره لنفسه كالصبيان والمجانين والمبذرين والغائبين، فلذلك كان سلوك أقرب الطرق في القضاء واجبا على الفور، لما فيه من إيصال الحقوق إلى المستحقين، ودفع المفسدة عن الظالمين والمبطلين)³³.

يضاف إلى ما سبق أن العز بن عبد السلام، على الرغم من أهليته للقضاء، لم يطلب القضاء بنفسه، بل عين فيه بمبادرة من السلطان نجم الدين أيوب. وقفاً عند قول جمهور الفقهاء من كراهة طلب القضاء، لما رواه عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه

²⁶ السبكي تاج الدين بن عبد الوهاب، م.س، ص 217.

²⁷ الصلابي علي محمد محمد، م.س، ص 65-66.

²⁸ الشرقاوي عبد الرحمان: *أئمة الفقه التسعة* (القاهرة، دار الشروق، 1411هـ - 1991م، ط 1)، ص 32.

²⁹ السبكي، تاج الدين بن عبد الوهاب، م.س، ص 210.

³⁰ السبكي تاج الدين بن عبد الوهاب، م.س، ص 211.

³¹ سورة آل عمران، الآية 187.

³² سورة النساء، الآية 58.

³³ قواعد الأحكام، ج 2 ص 43. الزحيلي محمد، *العز بن عبد السلام سلطان العلماء وبنائع الملوك* (دمشق، دار القلم، 1412هـ - 1992م، ط 1)، ص 97.

وسلم قال له: (يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة، فإنك إن تؤتها من غير مسألة تعن عليها، وإن تؤتها عن مسألة توكل إليها)³⁴، ولما رواه أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من طلب القضاء واستعان عليه وكل إلى نفسه، ومن لم يطلبه، ولم يستعن عليه أنزل الله عليه ملكا يسدده)³⁵.

2. الفقيه تقي الدين ابن تيمية والجهاد لرد عدوان التتار: في سنة 699هـ، هجمت قوات التتار بقيادة "قازان" على دمشق. وكانت يومئذ ولاية تابعة لسلطان المماليك في مصر. فجهز السلطان الناصر قلاوون جيشا لرد عدوان التتار عن بلاد الشام. لكن الغلبة كانت لجيش التتار. فدخلوا إلى دمشق وعاثوا فيها فسادا. حينئذ اجتمع الشيخ تقي الدين ابن تيمية بأعيان البلد، واتفقوا على السير إلى قازان والتحدث إليه³⁶.

ولما دخلوا على قائد التتار، دارت مناقشة بين الفقيه تقي الدين والقائد قازان كلمه فيها كلاما قويا شديدا. فكان مما قال له: (أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاض وإمام وشيخ ومؤذنون على ما بلغنا، فغزوتنا وبلغت بلادنا على ماذا؟ وأبوك وجدك كانا كافرين وما غزوا بلاد الإسلام بعد أن عاهدونا، وأنت عاهدت فغدرت وقلت فما وفيت)³⁷.

ولما عرض الطعام على الوفد، أكلوا منه إلا ابن تيمية. فقبل له: (ألا تأكل؟) قال: (كيف آكل من طعامكم وكله مما نهبتم من أغنام الناس، وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس).

وحين طلب منه قازان الدعاء، قال في دعائه: (اللهم إن كان عبدك هذا إنما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا وليكون الدين كله لك، فانصره وأيده وملكه البلاد والعباد، وإن كان إنما قام رياء وسمعة وطلبا للدنيا ولتكون كلمته هي العليا وليذل الإسلام وأهله، فاخذله وزلزله ودمره واقطع دابر). وقازان يؤمن على دعائه ويرفع يديه³⁸.

وقد استجاب قازان لطلب ابن تيمية بحقق دماء المسلمين، ورد عليه جميع الأسرى من المسلمين ومن أهل الذمة من اليهود والنصارى³⁹. وفي سنة 700هـ، ركب الفقيه ابن تيمية إلى مصر ليطلب من السلطان أن يرسل جيوشا لحماية الشام أو يتخلى عنها فيولي عليها ابن تيمية غيره. فأجابه السلطان إلى إرسال الجيوش. وعاد ابن تيمية إلى دمشق يحث الناس على الجهاد. ووصلت جيوش مصر فرجع التتار وعبروا الفرات، وكفى الله المؤمنين القتال.

ثم عاد التتار بجمعهم مرة أخرى لاحتلال الشام سنة 702هـ. فقام ابن تيمية بحث الناس على الجهاد. وكان يحلف بالله العظيم: إنكم في هذه الكرة منصورون. فقبل له: (قل: إن شاء الله)، فكان يقول: (إن شاء الله تحقيقا لا تعليقاً). وكان القتال في شهر رمضان. فأمر الناس بالإفطار، وأفطر أمامهم. ثم أنزل الله نصره على المسلمين⁴⁰.

وقد أثر عن الفقيه ابن تيمية مواقف عديدة تصدى فيها لاستبداد المماليك وواجههم فيها بما يكرهون دفاعا عن حقوق المظلومين وانتصارا لعامة الناس. فحين شكوا إليه أحد الناس ظلم أحدهم وهو "قطلوبك الكبير"، وكان معروفا بجبروته، دخل عليه وتكلم معه في ذلك. فقال قطلوبك مستهزئا: (أنا كنت أريد أن أجيء إليك لأنك عالم زاهد)، فأجابه ابن تيمية: (لا تعمل علي دركوان -أي لا تستهزئ-، فقد كان موسى خيرا مني وفرعون كان شرا منك، وكان موسى يجيء إلى باب فرعون كل يوم ثلاث مرات ويعرض عليه الإيمان)⁴¹.

³⁴ البخاري 2443/6 كتاب الإيمان والندور، المقدمة، مسلم 116/11 كتاب الإيمان، باب ندب من من حلف يمينا فرأى غيرها خيرا منها

³⁵ أبو داود، 269/2 كتاب الأقضية، باب طلب القضاء، الترمذي، 445/4 كتاب الأحكام الباب الأول، ابن ماجه 447/2 كتاب الأحكام باب ذكر القضاء.

³⁶ القحطاني سعيد بن علي بن وهف، مواقف العلماء عبر العصور في الدعوة إلى الله (الرياض، مطبعة سفير، 1425هـ، ط 1)، ص 16-17.

³⁷ البدري عبد العزيز، الإسلام بين العلماء والحكام (المدنية المنورة، المكتبة العلمية، ب.ت، ب.ط)، ص 78.

³⁸ الغفاني سيد بن حسين، زهر البساتين من مواقف العلماء والريانيين (القاهرة، دار الغفاني، ب.ت، ب.ط)، ص 367.

³⁹ القحطاني سعيد بن علي بن وهف، مواقف العلماء عبر العصور في الدعوة إلى الله (الرياض، مطبعة سفير، 1425هـ، ط 1)، ص 18.

⁴⁰ القحطاني سعيد بن علي بن وهف، م.س، ص 18-19.

⁴¹ البدري عبد العزيز، م.س، ص 119.

ولم يسلم ابن تيمية من كيد الخصوم والحاسدين، وكان منهم فقهاء وقضاة سعوا إلى تحريض الجاشنكير نائب السلطان قلاوون عليه حتى تسببوا في سجنه مرارا. لكنه كان يقابل إساءتهم بالصفح والعفو حتى وهو قادر على الانتقام لنفسه. ومن ذلك أن الجاشنكير سعى إلى عزل السلطان قلاوون، فاستصدر فتاوى من الفقهاء والقضاة بعزل قلاوون ومبايعة الجاشنكير. إلا أن هذه الحال لم تدم أكثر من سبعة أشهر. ثم عاد السلطان قلاوون إلى الحكم. فحاول أن يستصدر فتوى من ابن تيمية بقتل بعض القضاة بسبب ما أفتوا به من عزله ومبايعة الجاشنكير. وظن السلطان قلاوون أن الفقيه ابن تيمية سيوافق على إصدار مثل هذه الفتوى في خصومه. لكن الشيخ فطن إلى مراد السلطان، فأخذ في تعظيم شأن القضاة والفقهاء. وكان مما قال: (إذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم). فقال السلطان: (إنهم قد آذوك وأرادوا قتلك مرارا). فقال الشيخ: (من آذاني فهو في حل، ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه، وأنا لا أنتصر لنفسي). وما زال يجادل السلطان حتى حلم عنهم وصفح.

ولذا قال ابن مخلوف قاضي المالكية: (ما رأينا مثل ابن تيمية؛ حرصنا عليه فلم نقدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا)⁴². فلم يكن ابن تيمية طالبا لسلطة أو منصب سياسي، بل كان كل همه الذب عن الشريعة والانتصار للمستضعفين ورد عدوان المعتدين. وكان هذا واضحا في موافقه؛ فقد جاهد الغزاة من التتار بلسانه ويده وحرص على جهادهم، ودخل على السلاطين والأمراء ينصحبهم ويردهم عن ظلمهم، ولم يسع إلى الانتقام لنفسه من خصومهم الذين خالفوه في الرأي والاجتهاد على الرغم من حرصهم على إيذائه بتحريض أصحاب السلطة عليه، حتى أنه تعرض للسجن مرارا، وانتهى به الحال إلى الوفاة في سجن القلعة. وقد حدث أن وشي به يوما إلى السلطان قلاوون فأحضره وقال له: (إنني أخبرت أنك قد أطاعك الناس، وأن في نفسك أخذ الملك). فقال ابن تيمية بثبات: (أنا أفعل ذلك؟ والله إن ملكك وملك المغل لا يساوي عندي فلسين). فتبسم السلطان لذلك وقال: (إنك والله لصادق، وإن الذي وشى بك إلي لكاذب)⁴³.

2- عجز النخب المعاصرة عن تمثل المضامين الواقعية لمشاكل الأمة:

يحسن التنبيه بداية إلى أن النخب المتأصلة المعاصرة تتميز "بالإخلاص للأمة وطلب الخير لها والرغبة في بذل الجهد لإصلاحها". ويؤكد هذه الحقيقة "الواقع المتمثل بالانطلاق من الإسلام والثبات معه، على الرغم من موجة العداء العالمي والمحلي له، وأيضا مقاومة الغزو الثقافي على الرغم من حدته وتنفعده، والولاء لتعاليم الكتاب والسنة والأوبة إليهما عند الشعور بمخالفتهما"⁴⁴. هذا على المستوى النظري، لكن على المستوى العملي ونتيجة للمعاناة التي تعرفها النخب المتأصلة في صدامها مع الفكر الغربي، فقد عرفت مسيرتها مجموعة من الأزمات دفعت بها إلى تضخيم بعض الجوانب وتغليبها على أخرى، مما سبب تباعدا بين حركتها ومشاكل الأمة الواقعية. وهو الواقع الذي أثبتته تطورات الحراك العربي منذ بداياته. ويعتبر نموذج "الإخوان المسلمين" بمصر مثالا حيا على واقع الأزمة التي تعيشها هذه النخب.

1. الإخوان المسلمون وهاجس السلطة: لا يخفى ما تمتلكه حركة الإخوان المسلمين من رصيد دعوي واجتماعي امتد لأزيد من ثمانين سنة؛ فقد نجحت إلى حد بعيد، أعجز المناوئين عن إنكاره، في إدارة الملف الخيري بقدرة تنظيمية مبهرة، حيث خصصت قسما خاصا اهتم بإنشاء الجمعيات الخيرية التي تسهر على جمع التبرعات وصرفها في تقديم الخدمات الصحية والاجتماعية. كما اهتمت بإنشاء وتسيير مجموعة من المدارس والمؤسسات إما تابعة للحركة أو لأحد أعضائها.

وقد كان من المفترض أن تركز حركة الإخوان المسلمين ما بعد الحراك العربي على الحفاظ على هذا الرصيد التاريخي في انتظار نضوج الظروف المواتية للتغيير السياسي، خاصة مع تغلغل أذرع النظام السابق وقلوله في دواليب المؤسسات الأمنية والعسكرية والحكومية المختلفة.

⁴² العفاني سيد بن حسين، م.س، ص 393، ص 392.

⁴³ العفاني سيد بن حسين، م.س، ص 393.

⁴⁴ الزبيدي، عبد الرحمن بن زيد، م.س، ص 129.

فتعمل على توسيع نشاطها الدعوي والخيري سعياً نحو تغيير النفوس وإقناع العقول بتكامل مشروعها الدعوي والاجتماعي والسياسي. وهو الأمر الذي لم يحدث بسبب مسارعة الحركة إلى الوثوب على مراكز السلطة عند أول فرصة متاحة.

ويرى كثير من الباحثين أن حركة الإخوان المسلمين على الرغم من تبنيها للنموذج الحضاري الإسلامي، إلا أنها سقطت في فخ التركيز على السلطة ومحاولة الهيمنة على مراكز النفوذ السياسي. وهو الأمر الذي خلق نوعاً من الانفصال بين ممارسات الحركة وتطلعات الجماهير العريضة ما بعد الحراك العربي.

ويرجع الأستاذ نصر عارف سبب هذا التوجه إلى تأثير الحركات الإسلامية بالمدرسة الماركسية في التحليل؛ حتى أنه يصح القول أنهم "ثوب إسلامي لكن بمضمون علماني وتغريبي". فالحركات الإسلامية، حسب نصر عارف، ليست "في نهاية المطاف سوى نسخاً مكررة للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي سابقاً"⁴⁵.

وبغض النظر عن مدى صحة هذا التوصيف، يبقى واضحاً تركيز حركة الإخوان المسلمين ما بعد الحراك العربي على الوصول إلى مراكز النفوذ السياسي. حيث سعت إلى الهيمنة على السلطات الثلاث باستحواذها على الأغلبية البرلمانية وتقديم مرشحها للانتخابات الرئاسية وأثبتت من خلال بعض المواقف حرصها على ضم السلطة القضائية.

وباستقراء تطورات الأوضاع ما بعد سقوط "مبارك"، يبدو واضحاً وقوع الحركة أسيرة المحافظة على السلطة بأي سبيل وطريق، وذلك بحجة الحماية من التآمر الداخلي. وهو ما أوقعها في فخ ما سبق وعبر عنه الأستاذ منير شفيق بـ "تناسي الأهداف والمثل والقيم التي قامت لتحقيقها وتأكيداً. فما كان يقال قبل التمكين يصبح نسياً منسياً. وإنه لمن البديهي القول أن انتهاء المحاولة بصورة مشرفة خير من بقائها على تلك الصورة. وهذا ما يفرض أن ينمي الوعي والاستعداد للتخلي عن السلطة أو فقدانها، أو خسارة مكاسب معينة... إذا لم يقتنر الاستمسك بالسلطة والمحافظة على المكاسب.. بتطبيق المثل الإسلامي أو الاقتراب منه"⁴⁶.

وقد تمكنت قوى الثورة المضادة، والتي تمثل ما يمكن التعبير عنه بـ "الدولة العميقة" بمختلف أذرعها الإعلامية والإدارية، من استثمار بعض هذه المواقف لتأجيج الغضب الشعبي الناتج عن تزعزع الثقة الجماهيرية في أهداف الحركة وقدرتها على التعبير عن تطلعات المجتمع.

2. الإخوان المسلمون وعدم وضوح الخطاب: تقتضي نظرية التغيير تقديم خطاب متماسك للجماهير خالٍ من الأهداف غير المعلنة أو الازدواجية المربكة. ويعتبر هذا الشرط ضرورياً لتعبئة الأمة وكسب ثقتها وامتلاك الصدقية. ويتطلب هذا الأمر توفر نظرية عمل واضحة ومعلنة يتم تنزيلها دون رضوخ لابتزازات السلطة أو ابتزازات القوى المنافسة. فالوضوح والتصميم يعطيان الفرصة الكافية لإثبات صوابية النظرية وصدقية الحركة. والحديث عن العلنية والوضوح في الخطاب يركز بشكل أساسي على القاعدة التي تعتبر الأمة مفتاحاً للحل⁴⁷. إلا أن واقع حركة الإخوان المسلمين أثبت عدم انسجام الممارسة العملية لديها مع الخطاب المعلن. وهو ما زكى فرضية تبنيها لخطاب غير واضح ومفتقد للتماسك. الأمر الذي تم توظيفه من طرف الخصوم الإيديولوجيين والسياسيين للحركة.

ولا يكفي في هذا المقام تقديم تبريرات من قبيل أن التعامل مع الخصوم والأعداء لا ينبغي أن يكون بأوراق مكشوفة. فالمفترض من ناحية سياسة توقي الضربات قبل الأوان عدم السماح للعدو بكشف المواقع والتحركات⁴⁸. وهو تبرير يجد مرتكزاً له في السيرة العملية لنبي الإسلام عليه الصلاة والسلام؛ بدءاً من الدعوة السرية مروراً ببيعة العقبة وترتيب الهجرة إلى المدينة وانتهاءً بالتورية في بعث السرايا وتجهيز الغزوات. وأقل ما يمكن أن يقال عن مثل هذا التبرير أنه استدلال وارد في غير محله، إن لم نقل إنه بمثابة "كلمة حق أريد بها باطل"؛ ذلك أن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم كانت دعوة واضحة الهدف وعلنية الخطاب. ولم يكن يخفي على أتباع الدعوة أو خصومها، على حد سواء، الأهداف الأساسية لهذه الدعوة. ولم تكن السرية في بداية الدعوة إخفاء لهذه الأهداف بقدر ما كانت اجتماعات واتصالات بين معتنقي

⁴⁵ عارف نصر محمد: *الثورات العربية من منظور حضاري، حوارات ما بعد الثورة* (بيروت، مركز نماء للبحوث والدراسات، 2012، ط 1)، ص 71.

⁴⁶ شفيق منير: *في نظريات التغيير* (بيروت، المركز الثقافي العربي والدار العربية للعلوم، 1426هـ - 2005م، ط 2)، ص 156.

⁴⁷ شفيق منير، م.س، ص 145.

⁴⁸ شفيق منير، م.س، ص 146.

الدعوة في محاولة لتوقي عدوان الأعداء وقمعهم. ولم تكن السرية في الهجرة سوى تغطية على موعد الهجرة واتجاهها، كما أن السرية في الحروب هي مما تتطلبه حركة الجيوش واتصالاتها من عنصر المفاجأة قصد تأمين الحماية المطلوبة⁴⁹. وقد كان لاعتماد حركة الإخوان المسلمين على هذا المبدأ في خطابها الموجه نحو الجماهير المتطلعة إلى تحقيق مطالبها المشروعة أثر كبير في توسيع الفجوة بين هذه النخبة التي نجحت في الوصول إلى مراكز السلطة وبين جماهيرها التي حسمت أصواتها نتائج الانتخابات لصالحها. ولعل ما يشفع لحركة الإخوان المسلمين في اعتمادها لهذا المبدأ هو تفتننها لمحاولات قوى الثورة المضادة الالتفاف على مكتسبات الحراك العربي، الأمر الذي ألبأها لممارسات وصفت بالازدواجية وعدم وضوح الخطاب أو تماسكه. إلا أنها أغفلت حقيقة أساسية مفادها أن أي صدام مع القوى المعادية للثورة رهين بتوجه حركته إلى الجماهير؛ فإذا ما كانت معبرة عن حاجاتها ورغباتها، لقيت استجابة جماهيرية تمكن من الحفاظ على سلامة توجهاتها. بخلاف الحالة التي يبدو فيها الصراع ذا طابع ذاتي أو قضية ذاتية غير معبرة عن تطلعات الناس وحاجاتهم⁵⁰. الأمر الذي يصدق على الأزمة التي عاشها الإخوان في الحالة المصرية.

خاتمة: من خلال ما سبق إيراده في هذه المقالة يمكن القول بأن نجاح فقهاء الإسلام وقضاته، باعتبارهم نخبة المجتمع الإسلامي، في التعبير عن تطلعات الناس وملامسة احتياجاتهم المادية والمعنوية كان مرتبطاً بوضوح الرؤية وانسجام الحركة مع المرجعية والمفاهيم القيمة للجماعة. الأمر الذي ضمن تلاهما حقيقياً بين هؤلاء الفقهاء وعامة الناس؛ فكلًا الشيخين مثلاً، ابن عبد السلام أو ابن تيمية، عملاً في مواقفهما المتعددة على نصرة المظلومين بتحقيق الحقوق ومواجهة الاستبداد موظفين في ذلك مدركات الجماعة بتفعيل مفهومي الإصلاح والنصيحة. وقد استطاعا بهذه المواقف كسب تأييد الجماعة ودعمها؛ (موقف العز مع الماليك، وموقف ابن تيمية مع الناصر قلاوون). مع التأكيد على عدم حرص الفقيهين على الولاية عملاً بالنصوص الشرعية الناهية عن طلبها. أما حالة النخب المتأصلة المعاصرة (مثال الإخوان المسلمين في الحالة المصرية)، فقد أثبتت فشلها في كسب ثقة الجماهير. وقد تبين من خلال ما تم تقريره آنفاً أن تطلعها إلى السلطة وربطها التغيير بالوصول إلى مراكز النفوذ السياسي تسبب في حصول قطيعة بين هذه النخب وبين جماهيرها، وقد زاد في تأكيد هذه القطيعة ازدواجية الخطاب المعلن وعدم تماسكه.

لائحة المراجع:

1. القرآن الكريم برواية حفص.
2. البخاري، محمد بن إسماعيل (تحقيق/ مصطفى ديب البغا): **الجامع الصحيح** (بيروت: دار ابن كثير، 1407 هـ - 1987 م، ط 3).

⁴⁹ شفيق منير، م.س، ص 146.

⁵⁰ شفيق منير، م.س، صص 134-135.

3. البدرى، عبد العزيز: **الإسلام بين العلماء والحكام** (المدينة المنورة: المكتبة العلمية، ب.ت، ب.ط).
4. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش): **معالم التنزيل** (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، 1417 هـ - 1997 م، ط 4).
5. ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد (تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد): **السيرة النبوية** (بيروت: دار الجليل، 1411 هـ، ط 1).
6. البوطي، محمد سعيد رمضان: **الإسلام ملاذ كل المجتمعات لماذا وكيف** (دمشق: دار الفكر، 1404 هـ-1984 م، ط 1).
7. الزحيلي، محمد: **العز بن عبد السلام سلطان العلماء وبائع الملوك** (دمشق: دار القلم، 1412 هـ-1992 م، ط 1).
8. الزبيدي، عبد الرحمن بن زيد: **المثقف العربي بين العصرية والإسلامية** (الرياض: دار كنوز إشبيلية، 1430 هـ-2009 م، ط 1).
9. السبكي، تاج الدين بن عبد الوهاب (تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي): **طبقات الشافعية الكبرى** (القاهرة: دار إحياء الكتب المصرية، 1383 هـ-1964 م، ط 1).
10. الشرفاوي، عبد الرحمان: **أئمة الفقه التسعة** (القاهرة: دار الشروق، 1411 هـ-1991 م، ط 1).
11. شفيق، منير: **ففي نظريات التغيير** (بيروت: المركز الثقافي العربي والدار العربية للعلوم، 1426 هـ-2005 م، ط 2).
12. الصلابي، علي محمد محمد: **سلطان العلماء وبائع الأمراء** (بيروت: المكتبة العصرية، ب.ط).
13. عارف، نصر محمد: **الثورات العربية من منظور حضاري، حوارات ما بعد الثورة** (بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات، 2012، ط 1).
14. العفاني، سيد بن حسين: **زهر البساتين من مواقف العلماء والريانيين** (القاهرة: دار العفاني، ب.ت، ب.ط).
15. القحطاني، سعيد بن علي بن وهف: **مواقف العلماء عبر العصور في الدعوة إلى الله** (الرياض: مطبعة سفير، 1425 هـ، ط 1).
16. الوهيبي، عبد الله بن إبراهيم: **العز بن عبد السلام حياته وآثاره ومنهجه في التفسير** (الرياض: جامعة الإمام، 1402 هـ-1982 م، ط 2).